

المحاضرة الأولى

أسس البحث العلمي في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع (١)

يمكن تحديد سبعة خطوات أساسية على الباحث في علم
الاجتماع والأنثروبولوجيا اتباعها في تناوله للمشكلات التي
يتصدى لتحليلها ومعالجتها

الخطوة الأولى.. تحديد مشكلة البحث

وتكمن في ملاحظة الاختلاف والتباين في الأنماط السلوكية بما يترتب عليها من اختلاف في العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية، والتي تترتب عليها في الغالب معاناة تعيشها شريحة اجتماعية محددة دون غيرها من الشرائح، أو يعيشها المجتمع في كليته.



وقد تكون هذه المعاناة مرتبطة بالتراث الحضاري والاجتماعي لهذه
الجماعة أو لأي مكون من مكوناتها



وقد تكون مرتبطة بآليات التفاعل الاجتماعي والنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد والقيم والاتجاهات السائدة في المجتمع

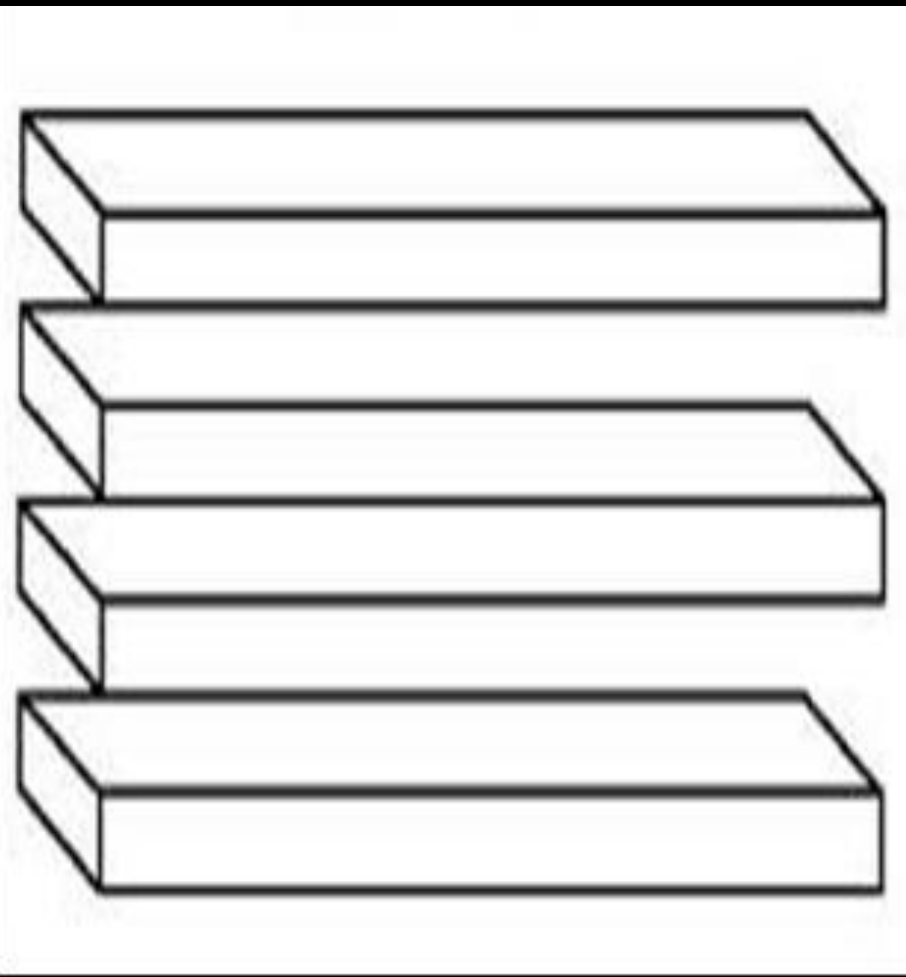


وقد تكون مرتبطة بأنماط سلوكية منحرفة وتلحق الضرر بالمجتمع
وبأفراده ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية وتهدد الأمن العام

ففي كل هذه الحالات يلاحظ اختلاف في أنماط السلوك وتنجم عنه معاناة تتألم منها شريحة اجتماعية، قد تكون فئات الشباب، أو الأطفال أو المسنين أو المرأة وقد تكون المعاناة على مستوى المجتمع في مجموعة

وقد تبدو مظاهر الاختلاف واضحة عبر الزمن في المجتمع الواحد، فتجري المقارنة بين الماضي والحاضر، وقد تظهر الفروق في الزمان الواحد بين المجتمعات المتعددة، وقد تظهر أيضا في المجتمع الواحد وفي الزمان الواحد ولكن بين شرائح اجتماعية مختلفة

ومع تحديد مشكلة البحث المبينة على مظاهر التغير والمعاناة التي تعيشها شريحة اجتماعية محددة، أو يعيشها المجتمع، تظهر أمام الباحث المشكلة في بعدها المعرفي، وهي التي تميز الباحث الاجتماعي عن غيره من الباحثين المعنيين بالمشكلة نفسها

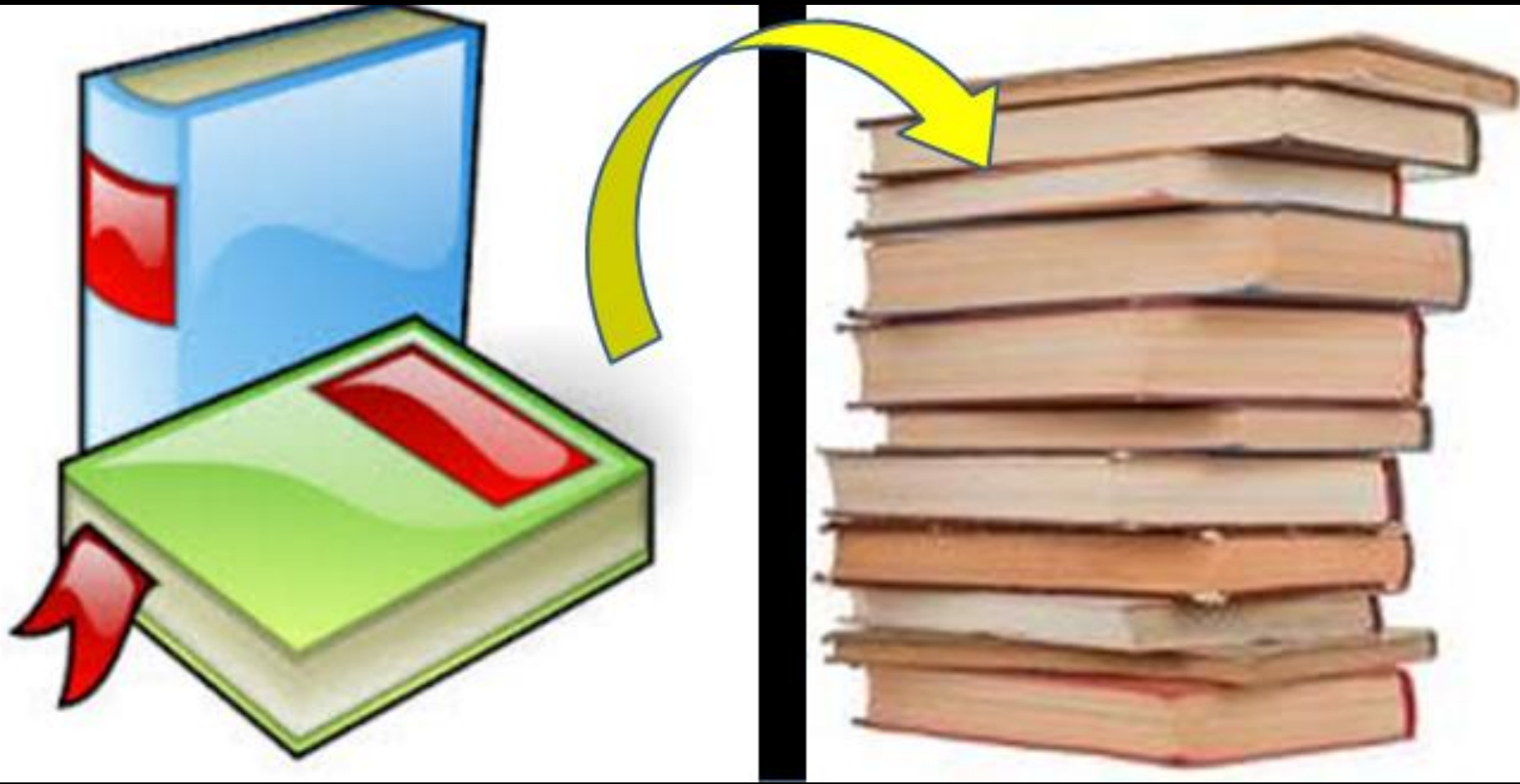


وتكمن المشكلة في بعدها المعرفي في كيفية النظر إلى المشكلة والتعامل معها، مما يجعل الباحث أمام مشكلة مختلفة نوعيا عن المشكلة التي تعاني منها هذه الشريحة الاجتماعية أو تلك

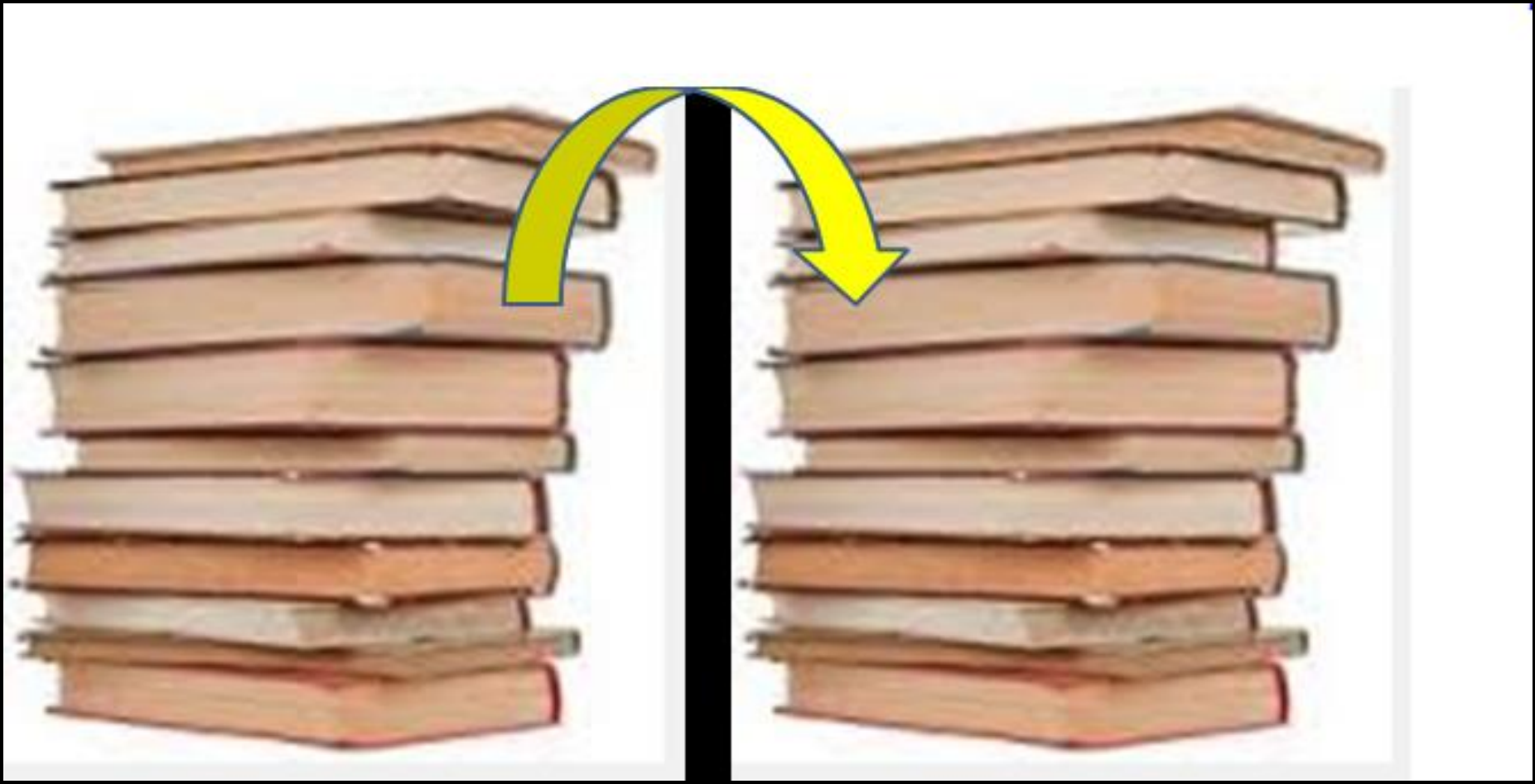
فهل يعتمد في حل المشكلة على ما في حوزته من تراث معرفي حول المشكلة،
وحلول جاهزة يمكن أن يطبقها بعد أن يستنبطها من دراسات سابقة،
وتجارب مجتمعية أثبتت جدارتها ونجاحها

فإذا كان في مقدوره ذلك فلا مسوغ علمي لأن يقوم بدراسة جديدة يمكن أن تصل إلى ذات النتائج التي توصل إليها من سبقه من الباحثين، في الوقت الذي يمكن أن تترتب على هذه الدراسة تكاليف كبيرة

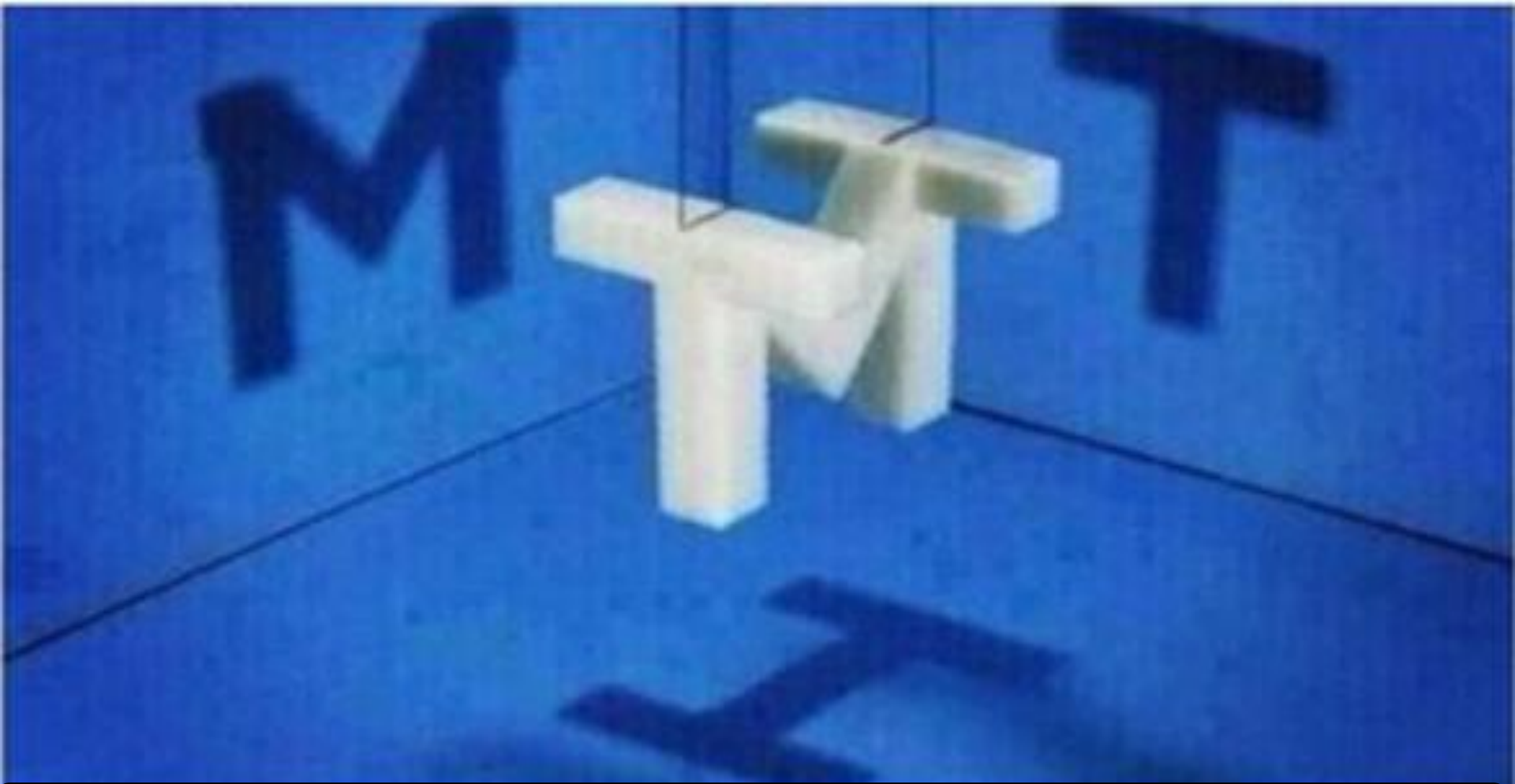
وعندما يدرك جيدا أنه لا توجد حلول جاهزة مسبقا، وأن الحلول المقترحة من الدراسات السابقة أو من تجارب مجتمعية سبق تطبيقها تحمل سلبيات وجوانب قصور كثيرة عندئذ يمكن التفكير ببحث جديد



وفي هذه الحالة لابد أن يدرك الباحث طبيعة الإضافة المعرفية التي يمكن له أن يقدمها للتراث النظري في مجال بحثه، وإذا لم يتمكن من تحديد خصائص هذه الإضافة المعرفية فمن الصعوبة أن يستمر في دراسته



لأن غياب الرؤية العلمية الجديدة يجعله يعيد ما كتبه غيره من الباحثين،
وينسخ ما قدموه في دراساتهم السابقة، أو يعيد صياغة الحلول التي سبق
أن تمت في تجارب سابقة بما تحمله من جوانب قصور وسلبيات



وحتى يتمكن من ذلك عليه أن يحدد الرؤية الجديدة التي يتوقع أنه قادر
من خلالها على إضافة الجديد إلى ميدان بحثه



لنأخذ قضية محددة مثلا على ذلك، ونجعل منها محورا للنقاش وتبادل الآراء حتى تتحقق المعرفة بشكل أفضل



ولتكن هذه القضية قضية الزعامة ودورها في الحياة الاجتماعية
والسياسية بالنسبة إلى الأفراد، وللجماعات التي تمثلها في وقت واحد



وقد تم اختيار هذا الموضوع (الزعامة) لاعتبارات كثيرة

سأقوم بواجبي، ولست
خائفاً على نفسي .. إن لم
نكن أحراراً فوق الثرى،
فلنكن شهداء تحت القراب .

يوسف العظمة



منها أنه ما من مجتمع في الماضي، ولا في الحاضر إلا وتظهر فيه الزعامة
بوصفها مكوناً أساسياً من مكونات المجتمع، وتؤدي دوراً فاعلاً فيه.



وهي تزداد تنظيما وقوة مع تطور المجتمعات، وليس من المتوقع أن تندثر
في المستقبل لما تؤديه من وظيفة حيوية بالنسبة لكل المجتمعات



حتى أن مفهوم الدولة بالمعنى الحديث إن هو إلا شكل من أشكال
الزعامة التي لا يمكن الاستغناء عنها، كما أشار إلى ذلك من قبل
عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته



وتتجلى المشكلة في الوقت الراهن بظهور زعامات تؤدي دورا سلبيا بالنسبة
إلى الجماعات التي تمثلها وتسيطر عليها



وقد تندفع جماعات كثيرة إلى ممارسة أشكال من الفوضى والاضطراب بسبب هيمنة زعامات عليها متورطة في علاقاتها مع الأجنبي وتتعامل معه



وقد تكون هذه الزعامات ذات طابع سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي، حتى أن جماعات الانحراف والجريمة والتطرف والإرهاب تندفع لممارسة أفعالها تبعا لما تمليه عليها زعاماتها أيضا.



في الوقت الذي يمكن لزعامات أخرى أن تؤدي دورا إيجابيا في توحيد الجماعة، وضمان مصالحها، والانفتاح على الجماعات الأخرى لتحقيق مبدأ التعايش بين مكونات المجتمع الواحد



فللزعامات إذن تأثير كبير في الأوساط التي تعيش فيها ويمكن أن تؤدي
دورا إيجابياً فاعلاً، ويمكن أن تؤدي دوراً سلبياً



فقد تكون عاملا أساسيا من عوامل بناء الحضارة وتطورها
ومعلما أساسيا من معالم التطور الاجتماعي والحضاري والثقافي للمجتمع



وقد تكون عاملا سلبيا، وتؤدي دورا مخربا في تاريخ المجتمع
وتدفع بأبنائه إلى تخريبه وتدمير مؤسساته الاجتماعية والثقافية
والحضارية المتنوعة

وفي ضوء هذه المقارنة يمكن الوصول إلى تحديد مشكلة البحث
بتحليل طبيعة الدور الذي تؤديه الزعامات في تاريخ الجماعة الواحدة
والجماعات المتعددة



أما الجانب المعرفي فيتعلق بالتفسير الاجتماعي لدور الزعامة في إدارة الجماعة وحياتها ونشاطاتها، وهو أمر يختلف عن التفسير النفسي أو السياسي أو التاريخي...

وباختصار

في ضوء هذه المقارنة يمكن الوصول إلى تحديد مشكلة البحث في ضوء اعتبارين أساسيين:

الأول. مظاهر التغير في مفهوم الزعامة واختلاف الدور الذي تؤدي في الحياة الاجتماعية والسياسية في سورية.

الثاني ، مظاهر المعاناة التي يعيشها الناس نتيجة هذا التغير بما يترتب عليه من مشكلات حياتية ونفسية واجتماعية واقتصادية متنوعة

وشكرا لحسن إصغائكم